المحاضرة العاشرة: الجماعة والانحرافات الاجتماعية.

الهدف من المحاضرة:

الهدف من هذه المحاضرة هو التعريف بالانحرافات الاجتماعية ككل، وتبيان العلاقة الموجودة بين الجماعات بصفة عامة وهذه المجموعة من الانحرافات الخارجة عن النظم الاجتماعية.

1. تعريف الانحرافات الاجتماعية:

تتمثل الانحرافات الاجتماعية في خروج أنماط معينة من السلوك على المعايير في مجتمع معين وزمن معين، كما يكمن تعريفها على أنه سلوك يخالف المعايير التي يقدرها الناس، إذا اتصفت بالاستمرارية أصبح لها دور سلبي في نظر الناس، وأصبح من الضروري أن تهتم بها وسائل الضبط الاجتماعي. ويتضح من هذين التعريفين أن أصل قضية الانحراف يمثل عندهم في الخروج على القيم والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها، فالتعريف الأول يشير الى ألوان السلوك والتصرفات التي يخرج بها صاحبها على المعايير الاجتماعية. ويصرح التعريف الثاني بأن المعايير هي التي يقدرها الناس، وأصبح لصاحب الخروج على هذه المعايير دور سلبي في نظر الناس. (

عوامل الانحراف الاجتماعي وأسبابه:

للانحراف الاجتماعي عوامل وأسباب تؤثر في حدوث الانحراف وقوته ودرجته، ولذلك نرى العلماء الاجتماعيين والباحثين يسعون في البحث عن هذه الأسباب، فكتبوا بحوثا علمية كثيرة تحاول تفسير ظاهرة الانحراف أو السلوك الانحرافي، والتعرف على العوامل والأسباب، وطبيعة العلاقة بين هذه العوامل من حيث تداخلها وتشابكها. ولكن نجد في غالب هذه الدراسات والبحوث أنها لا تخلو عن اتجاهين أساسيين وهما:

أولا: اتجاه يقوم على البحث عن نظرية واحدة عامة تفسر سبب السلوك الانحرافي، وهذا الاتجاه واضح في مختلف مدارس علم الاجرام، كالمدرسة البيولوجية، والمدرسة الأنثربولوجية، والمدرسة الاقتصادية، والمدرسة الجغرافية، والمدرسة الاجتماعية، ومدرسة الطب النفسي وغيرها.

ثانيا: اتجاه يركز على عوامل ومتغيرات متعددة تكون في مجموعها علة السلوك الانحرافي. ونجد هذه الاتجاه عند العالم الايطالي "أثريكو فيري" من المدرسة الوضعية الايطالية، التي ترى أن الانحراف ماهو إلا محصلة مترابطة من العوامل الطبيعية والأنثربولوجية والشخصية والاجتماعية. وعلى ذلك فقد وضع "فيري" أصول مذهب جديد فيما بعد بمذهب تعدد العوامل او مذهب تداخل العوامل او الاتجاه التكاملي في تفسير الانحراف. (

ويرى "بارسونز" أن عملية التنشئة الاجتماعية غير قادرة على مواجهة كل الاتجاهات الانحرافية، إذ أن الاتجاهات الانحرافية في نظر "بارسونز" هي دوافع تدفع الفاعل إلى الخروج عن مقتضيات المستويات المعيارية التي يشترك فيها المتفاعلون، وهذه الاتجاهات أو الميول الانحرافية تشكل فشلاً في تدعيم الدافع لتحقيق توقعات الدور مما يجعل هناك ضرورة لوجود ميكانيزم آخر يساهم في تدعيم تلك التوقعات ويعمل على امتثال الأفراد من أجل تدعيم التفاعل القائم وهذا هو الدور الذي يقوم به ميكانيزم الضبط الاجتماعي. (

أما فيما يلي سنفصل في مقاربتين مهمتين في المادة المدرسة وهي التوجه النفسي والاجتماعي.

المقاربة الاجتماعية: ترجع السلوك الانحرافي كنتيجة لعوامل عدة تؤثر في شخصية المنحرف من عوامل اجتماعية (الاسرة، المدرسة، مجتمع العمل، رفقاء السوء...الخ) عوامل ثقافية (التعليم، الوسائل الاعلامية...الخ) عوامل اقتصادية 'ارتفاع أو انخفاض مستوى الدخل، الأزمات الاقتصادية...الخ)، نأخذ على سبيل المثال جنحة السرقة، فوفقا للمفهوم الاجتماعي فحاجة المنحرف من الناحية المادية وانتشار البطالة لعدم توفر فرص العمل، تجبره على سلب ممتلكات الآخرين واعتبارها حقا من حقوقه الشرعية وهو بذلك خرق لتلك المعايير التي تمنع السيطرة على

أملاك الغير الواجب إتباعها ويعتبره المجتمع منحرفا دون النظر الى اسباب انحرافه، فهي بذلك تحول المنحرف من متهم اعتدى على أمن المجتمع الى ضحية ظروف ومشاكل اجتماعية قاهرة.

المقاربة النفسية: تتفق الدراسات النفسية على أن تقيم السلوك بأنه منحرف يقتضي خروج ذلك السلوك عما تعارف عليه المجتمع وتهتم بدراسة الفرد ذاته، فهي تحاول التوصل من خلال دراسة شخصيته وتكوينها وطبيعة القوى الفاعلة فيها، إلى اكتشاف الأسباب النفسية المؤدية للانحراف، مقارنة بنظريتها أي البحوث الاجتماعية، هذه الأخيرة والتي تركز جهدها على مجمل النشاط الانحرافي، إذ يذهب المحللون النفسانيون إلى ما يختلج نفوس المنحرفين من أفكار مختلطة وغامضة، بعضها شعوري وأغلبها لا شعوري، ناجم عن خبرات مؤلمة أو مخجلة، تغرقهم في مشاعر من الخوف والتوتر والقلق وعدم الاستقرار فهو: "سلوك شخص تتغلب عنده الدوافع الغريزية والرغبات على القيم والتقاليد الاجتماعية الصحيحة" أي أن الانحراف حالة مرضية تظهر وتتوافر في الفرد نتيجة عدم التوازن بين "الهو" و "الأنا الأعلى" المعبر عنها بالدوافع الغريزية والقيم الاجتماعية، إذ يرى فرويد أن الضمير يمثل معايير الفرد وقيمه ومثله الأعلى، إثر تقسيمه للشخصية الإنسانية ذات عليا (ضمير)، وذات دنيا (الجزء الغريزي)، ذات وسطي (الجزء الواقعي أو الشعوري) بقوله: "يرتكب الجانح افعاله المضادة للمجتمع مدفوعا بمشاعر ذنب شديدة ناتجة عن ذات عليا (الضمير) مفرطة في قسوتها وتتطلب العقاب بشكل دوري لكي يهدأ"، ونفهم من هذا التعريف أن "فرويد" يؤكد على دور الدوافع اللاشعورية والصراعات العقلية المكبوتة وبذلك الفرد قد يرتكب السلوك المنحرف من اجل اشباع حاجته الى العقاب، الناتجة عن فعل أو خطأ ارتكبه في الطفولة المبكرة، فمثلا الكراهية المستمرة للأب، ربما يعبر عنها بانحراف عام نحو السلطة. ()

2. المعايير المحددة للانحرافات الاجتماعي:

أهم معيار سنتحدث عنه في هذه المحاضرة والتي له علاقة مباشرة بالمادة المدرسة هو المعيار الاجتماعي، وكون الظاهرة ظاهرة اجتماعية بصفة خاصة وتخضع في شكلها ومضمونها للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، وذلك بفعل القيم والمعايير، وعلى أساس درجة الاحترام تصدر الأحكام الاجتماعية التي قد تكافئ إذا كان السلوك ملتزم بالمعايير والقيم المجتمعاتية، ويعاقب في حالة انتهاكها.

3. أنواع المنحرفين عند "ميرتون":

- ✓ **المنحرف المنشق:** هو الخارج عن العادات والتقاليد الاجتماعية، ولا يعترف بسلطتها. ويمثل شخصية ثورية تسعى الى تغييرها وليس تعديلها، ولا يسعى إلى تحقيق مصالح ذاتية، إنما المصلحة العامة.
- ✓ **المنحرف الضال:** يحاول كتمان انحرافه

4. أصناف الانحراف:

افترض "ميرتون" أن ثقافة المجتمع تنقسم إلى مجموعتي: الأولى ثقافة مشروعة: وتمثل ضغط ثقافي على أفراد المجتمع، والثانية: طرق غير مشروعة لا تسمح بها ثقافة المجتمع المحلي ولا قوانينه. وأفراد المجتمع ينتمون لواحدة من هاتين المجموعتين، مما يعني أن هناك تباين بين الأفراد في تحقيق أهدافهم وإشباع حاجاتهم إما بطريقة مشروعة تحظى بالرضى والقبول الاجتماعي، أو طريقة غير مشروعة تحظى بالرفض الاجتماعي. وقد صنف الانحراف حسب "ميرتون" إلى:

- ✓ **الانحراف الانتمائي:** أي انتماء الفرد المنحرف لبيئة منحرفة منذ الميلاد.
- ✓ **الانحراف الإنسحابي:** يكون عندما يفشل الفرد في مواجهة الواقع الاجتماعي، ويعجز عن تحقيق أهدافه، مما يؤدي إلى التكيف السلبي بتعاطي المخدرات، أو شرب الخمور، أو الاغتراب، والعزلة الاجتماعية...الخ

- ✓ **الانحراف الثوري:** يؤدي بالفرد المنحرف لارتكاب جرائم العنف مثل: الضرب والتكسير والحرق والاتلاف.
- ✓ **الانحراف الطقوسي:** هو انحراف غير معيب، يتمثل في تمسك الفرد بالإجراءات الادارية الروتينية بشكل مفرط لدرجة الانحراف عن المعتاد.

وقدم "ميرتون" تصنيف آخر للانحراف وهما:

- ✓ **الانحراف المعيب:** وهو مخالف للقواعد القانونية والدينية، يعتبر مرتكبها مجرما، ويلقى عقابا بالقانون.
- ✓ **الانحراف الغير المعيب:** هو مخالف للعادات والتقاليد الاجتماعية السلبية (

العنف الاجتماعي كنوع من أنواع الانحرافات الاجتماعية في الجزائر:

في مقال مشترك للدكتورين: فريد بوتعني وفاطمة نفيدسة ومن خلال قراءة في نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية للدكتور سليمان مظهر يجدان في القراءة للنظرية أن: "العنف الاجتماعي الذي نلمسه باستمرار في مختلف المجالات الاجتماعية، وعلى مستويات السلم الاجتماعي، والتي يذكرها مظهر سليمان في الضجيج، الرشوة، القلق، فالضجيج باعتباره عنفا اجتماعيا يعم المجتمع الجزائري، ويميز تعاملاته يتسبب في سلوك الأشخاص، (وعلى حد قولهم) "إنهم لا يمشون بل يضربون اقدامهم على الأرض ولا يغلقون الأبواب ونوافد منازلهم بل يتشاجرون في معظم الأحيان، ويمزقون أو يكسرون ما يقع بين أيديهم وأخيرا تتم الأشغال المنزلية في كل الأوقات حتى في ساعات متأخرة من الليل"، فتأثر الانسان بالعنف يكشف عن صراعات وعلاقات خاصة في المجتمع الجزائري، وكذا بالنسبة للرشوة التي تنتشر لتعم ارجاء المجتمع ليعيش الفرد في قلق دائم إثر ضياع حقوقهم، إن هذه المتغيرات كفيلة أت تجعل المجتمع الجزائري ليعيش حالة فوضى يعاني الانسان منها، ويتسبب فيها، وهذا ما يؤدي الى الضعف والانزعاج والتعب الشخصي، ما نتج عنه الهشاشة الاجتماعية مما يجعل افراد المجتمع غارقين في تبعية اجتماعية بحثا عن السند، (وعلى حد قولهم): "وهنا يكمن الدور الجمعي للعنف الاجتماعي انه يضع

الاشخاص تحت التبعية الاجتماعية غذ لا يستفيد أحد من دعم اجتماعي إلا والتزم الامتثال الاجتماعي"، وهنا يتجسد لنا العنف الجسدي الذي لا يعبر عن الاستعداد للصراع بقدر ما يعبر عن العجز عن التحكم في الأوضاع المزرية التي يعاني منها الفرد ويتسبب فيها، فيجدهم يمارسون العنف الجسدي ضد الصغار والزوجات قصد اخضاعهم لضغط اجتماعي من أجل الامتثال لسيرورة التفاعلات والشروط الاجتماعية للجماعة العائلية (

علاقة الجماعة بالانحرافات الاجتماعية:

إن الإنسان يعيش في وسط اجتماعي، ومن حيث أنه يحدث في اطار المجتمع عمليات من التفاعل فيما بين الأفراد والجماعات والمجتمع، ويربط بين الأفراد نمط ثقافي معين، كما أن سلوك الأفراد يتم وفق مجموعة من النظم والعادات والقيم التي تضبط سلوكهم، فإن هذا يعرف في علم السلوك بعملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية، والتي تتم وفق أبعاد تتمثل في:

-الالتزام بأخلاقيات المجتمع.

- الامتثال لضوابط وقواعد الضبط الاجتماعي.

- التفاعل في مجالاته المتعددة: الاجتماعي، الأسري، المهني، التربوي...الخ

ومنه فللجماعة بأنواعها علاقة بالسلوكات الناتجة عن الفرد المنتمي إليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وفيما يلي سنبين بالتفصيل حول تأثير نوعين من الجماعات على السلوك عامة والانحراف خاصة.

1.7. الأسرة:

الجماعة الانسانية الأولى التي يحتك بها الطفل، وهي بهذا مسؤولة عن اكتسابه أنماط السلوك الاجتماعي وكثيرا من مظاهر التوافق كما تغرس فيه خلال سنوات طفولته ردود أفعال اتجاه القيم والمعايير تعتبر الأسرة عاملا مولدا للانحراف، فسوء التربية الأسرية التي يتعرض لها الطفل في الآونة الأخيرة بسبب خروج المرأة وشغلها وحرمان الأولاد من رعايتها المستمرة كذلك ساعد على تفاقم هذا العامل تفكك الأسرة نسبيا وضعف سلطانها على جميع

اعضائها بسبب ما حققته المرأة من استقلال اقتصادي بسبب العمل نتيجة لتيارات التحرر ولكثرة أعباء الحياة التي تلهي كل من الأب والأم عن توفير الإشراف الأبوي أو الوالدي السليم لأطفالهم، فضلا عن حالات الانفصال والشجار المستمر، فالأسرة تحظى بالمسؤولية الكبرى والدور الهام في تقرير سلوكيات الطفل في كبره ولهذا اهتم العلماء والكثير من الباحثين بهذه العوامل

2.7. الصحبة (جماعة الرفاق):

لقد أكد رسولنا الكريم عن مساوئ رفقاء السوء فقال: "*إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافح الكير، فحامل المسك إما يجدبك وأما أن تبتاع منه وما تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك وأما أن تجد منه ريحا منتنة*" (حديث شريف رواه البخاري). إن الانحراف بصحبة جماعة الرفاق قد يكون له مزايا، فالجماعة تمنح المنحرف تعلما نفسيا وتعلما تقنيا، فالأول يعني التحضر المعنوي الضروري لاختراق فعل انحرافي فهي تساعد على التغلب على المخاوف وتساعده على تبرير السلوكيات المنحرفة، أما الثاني يقصد به تعلم أسرار وخفايا عمل المنحرفين الآخرين الأكثر تجربة وبواسطة هذان المتعلمان يصبح الانحراف أكثر فائدة فتزداد اللذة

يتأثر الشباب بجماعة الرفاق المنحرفين على المدى القصير حتى تقبله الجماعة ودون أن يكون بالضرورة متقبلا للنشاط المنحرف المطلوب منه القيام به، أما على المدى المتوسط والطويل تأثير جماعة الرفاق على الشاب متى كان هو متقبلا لها، أي يصبح هناك قبول متبادل على الشاب أن يرغب في التشبه بالآخرين وعلى الجماعة أن تقبل الشاب بكل ما فيه

ملاحظة: يمكن أن تكون الجماعة بأنواعها سببا في انحراف الفرد كما سبق وشرحناه سابقا لكن ايضا يمكن أن يكون سبب لعدم انحراف الفرد من خلال قيام هذه الجماعات بأنواعها بصيانة الفرد وحمايته من الانحرافات والانزلاقات التي يمكن أن تحدث له.

5. كيفية مواجهة الانحرافات الاجتماعية:

القيم حماية للفرد من الانحراف السلوكي: للغرائز البشرية تأثير كبير على النفس قرينة للإنسان محببة إليه، تتمكن خاصة من ضعاف النفوس لذلك فإن اكتساب نظام قيمي مسيطر على تلك الغرائز والشهوات يعمل على ضبطها والسيطرة عليها والتحكم فيها

تتجسد عملية الضبط الاجتماعي في مجموعة من الميكانيزمات لمواجهة الميول الانحرافية وإعادة التوازن إلى المجتمع، فعملية الضبط تواجه جملة الأنماط الانحرافية داخل النسق وذلك من خلال ثلاثة ميكانيزمات أساسية وهي: التحمل، التسامح الاجتماعي، ومحاولة تقييد علاقات التفاعل. حيث أن هذه الميكانيزمات وغيرها تحافظ على ضبط البناء الاجتماعي وتعمل على تماسكه واستمراره، بمعنى أن ثبات الحياة الاجتماعية وتكاملها يعتمد بالضرورة على وجود السلطة والمشاركة في المصالح والقيم التي تدعم لنا كل البناءات والتنظيمات وتؤدي الى تماسك الأنساق الاجتماعية القائمة في هذه البناءات الكلية